كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

محاضـــرات فـــي مقيـــاس سوســـيولوجيا الـــرابط الاجتمـــاعي **د. تـــالي جمـــال**

عنوان الليسانس: **علم اجتماع** اسم الوحدة: **أساسية** الرصيد:**5** المعامل:**2**

المحاضرة السادسة: الرابط الاجتماعي عند تونيز فرديناند.

يعتبر **تونيز** من أهم من ساهموا في نشأة علم الاجتماع، في ألمانيا، لما تقدم به من نصيب كبير في علم الاجتماع النظري، بنظريته الخاصة بالجماعة أو المجتمع المحلي والمجتمع Gemeinschaft and Gesellschaft والتي نشرها لأول مرة في كتاب، بهذا الاسم سنة 1887 كما يعد **تونيز**، من أقطاب الاتجاه التحليلي للروابط الاجتماعية، على أساس تميّزه بين شكلين اجتماعيين هما الجماعة Gemeinschaft و المجتمع Geslechaft[1].

و يقصد بذلك أن المجتمع ينتقل من نظام المجموعة المحلية Gemeinscheft إلى المجتمع التعاقدي Gesellschaft وهذا الانتقال يكون بعلاقات قوية، إلى جماعة وحياة تعتمد، على علاقات اللاشخصية impersonnelحتى وإن كان هؤلاء الافراد لا تجمعهم أي علاقة.2استعمل تونيز مصطلح الإرادة الإنسانية، التي يعتبرها المصدر أو الركيزة الأساسية لكل الروابط والعلاقات الاجتماعية، حيث يميز بين نوعين من الإرادة الطبيعية أو العضوية، والإرادة العقلية أو التحكمية .فالإرادة الطبيعية توجد في المجتمع المحلي، والإرادة العقلية توجد في المجتمع العام.3أما الإرادة العضوية أو الطبيعية، المقصود بها"تلك الضرورة البيولوجية، التي بمقتضاها يولد

الفرد، فيجد نفسه عضوا في الجماعة، ويرتبط بالصلات الحياتية القائمة والمتواجدة، بين أعضاءها ويلتزم بالروابط الاجتماعية المستقرة والتي تتميز بحدة تفاعلاتها، وتضامن أفرادها، كما تتميز بالتعاطف، والمشاركة الجماعية، والاتصالات المباشرة بين أعضاءها "4.

الإرادة العقلية وهي"رابطة تقوم بين الأفراد على أساس العقل، وتشيع في المجتمعات الحديثة أين توجد الفردية، والحذر والقلق، والبحث عن المصالح الخاصة، فالأفراد يرغبون عن طريق الإرادة التحكمية أو العقلية، الوصول إلى هدف معين أوغاية معينة، أي يقوم ترابطهم الاجتماعي بقصد تحقيق هدف معين يهمهم، برغم ما قد يكون بينهم من برودة، وكراهية لأن روابطهم تقوم على أساس تصنعي، فهم يترابطون برغم ما قد يكون بينهم من عوامل الانفصال."5

في رأي تونيز الأفراد يندمجون و يتفاعلون، طبقا لرغباتهم أو إرادتهم الشخصية الصادرة عن العقل، أي الروابط عقلانية، تخضع لإرادة أفراد المجتمع، ووحداته.ويعتقد بوجود ثلاث نماذج للعلاقات أو الروابط الاجتماعية، تنشأ عن الظروف الحيوية، وتمثل هذه النماذج الروابط الاجتماعية التي تقوم على :1- روابط الدم. 2- روابط الجوار. 3- روابط التجاذب الروحي.

كما يرى تونيز في نظريته عن المجتمع انها تتخذ نقطة انطلاق لها هي مجموعة من الناس يعيش بسلام، بعضهم مع بعض، كما في الجماعة، لكن من دون أن يكونوا متحدين أساساً، بل على العكس من ذلك، فهم منفصلون في الأساس.

وفي حين يبقى أفراد الجماعة متحدين، على الرغم من كل ما يفرقهم، يبقى أفراد المجتمع متفرقين على الرغم من كل ما يجمعهم. ونتيجة ذلك، ليس هناك نشاط يُستقى من وحدة بدهية محددة مسبقاً يعبّر عن إرادة هذه الوحدة وروحها من خلال أي فرد يقوم بها. ويقول في مكان آخر إن المجتمع ينتج نسخة مجردة من نفسه في صورة عملة نقدية يجري تداولها بمنحها سعراً للصرف، "وهذا يعني أن القيمة هي المنتوج الموروث عن إرادة المجتمع؛ إذ إن المجتمع هو ببساطة تجسيد للعقل المجرد، يشارك كل كائن عقلاني فيه من خلال فكره الخاص."

كما دعا تونيز الى تحليل الظواهر الاجتماعية من وجهة نظر تطور السوسيولوجيا التطبيقية. تعامل بعض أتباعه مع السوسيولوجيا التطبيقية كفلسفة علمية للتاريخ. أما هو، فقد قام بالأصل بتعريف أهدافها بشكلٍ أكثر تواضعاً، قائلاً أنه في حين أن السوسيولوجيا المحض تقتصر على فهم ووصف الواقع الساكن، في حالة الثبات، فان السوسيولوجيا التطبيقية تتعامل معه بشكلٍ ديناميكي، معتبرةً اياه في حركته. بالنسبة الى تونيز، صار مبدأ التضاد المفاهيمي منهجاً للسوسيولوجيا التطبيقية. تطور التفاعل الدياليكتيكي للارادة والعقل الذي يكمن في أساس العلاقات الاجتماعية، وفقاً له، باتجاه هيمنة العقل، أي أن التطور الاجتماعي صار عملية تزايد العقلانية فيه.

هذا حدد اتجاه التطور الاجتماعي: من الكيان الاجتماعي Community الى المجتمع Society. اعتقد تونيز، أن تشكل العقلانية، هو تشكل المجتمع Society، والذي تطور جزئياً وفقاً لتطور الكيان الاجتماعي Community، باعتباره الشكل الأولي، أو على الأقل، الأقدم، للعيش المُشترك. من هذه الزاوية، قام بتحليل ديناميكيات تطور البُنى الاجتماعية من مُختلف الأنواع، مُستخدماً مواد وقائعية كثيرة،

ودرس المسائل الاجتماعية للمجتمع المُعاصر بحيث يوضح وصفته النظرية بالأمثلة، أي تطبيق نمط الحُجج الكامنة في هذه المُقاربة لتحليل اي وضعية تاريخية وتطور الحياة الاجتماعية ككل، على الأقل بقدر ما انتقل هذا التطور من الكيانات الاجتماعية Communal الى الأشكال الاجتماعية Social.

كانت هذه هي الطريقة التي عالج بها تونيز المسألة الرئيسية لعمله السوسيولوجي، والتي طرحها نفس سياق التطور الايديولوجي في القرن التاسع عشر، أي مسألة تركيب الجوانب الايجابية للاتجاهين العقلاني والرومانسي. انعكست احصائيات وديناميكيات الحياة الاجتماعية، والبُنى الميكانيكية والعضوية لـ"الأجسام" الاجتماعية، والمقاربات التاريخية والعقلانية في دراسة المجتمع، انعكست في في سوسيولوجيته (التطبيقية والصرف). ساهمت سوسيولوجيا تونيز في السير خطةً الى الأمام من التأملات السوسيو–فلسفية التي ميزت الفترة السابقة، الى سوسيولوجيا موضوعية علمية خالية من المواقف القيمية والتوجهات السياسية، وخالية من الاتجاه الأخلاقوي المتأصل في فلسفة التاريخ.

توجه طابع فلسفة تونيز "العلمية" الى صورة معينة للعلم، وهي الصورة التي صنعها الوضعيين. لقد ضمّن، في انجازات مفهومه السوسيولوجي: 1– الموضوعية 2– الميل الطبيعاني المتأصل و3– استقلالية عن المقدمات القِيَمية والممارسة الاجتماعية العملية.[6]